جامعة يحي فارس المدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

السنة الاولى جذع مشترك علوم إنسانية

محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر العام

السداسي الثاني

الأستاذة: نور فاطمة الزهراء

السنة الجامعية:2023-2024

المحاضرة الاولى:

المغرب الاوسط اواخر القرن 15 و بداية القرن 16.

1- المغرب الأوسط قبيل مجيء العثمانيين:

استطاعت دولة الموحدين(1121م- 1269م) أن توحد كل المغرب الإسلامي تحت راية واحدة، إلا أن هذه الدولة ما لبثت أن أخذت تتهاوى بسرعة، و تسيير نحو السقوط خاصة بعد هزيمتها في معركة حصن العقاب سنة1212م، و أخذ المغرب الأدنى و المغرب الأوسط يميلان نحو الاستقلال عن الموحدين و ما إن انهارت حتى قامت على أنقاضها ثلاث دول هي الدولة الحفصية في المغرب الأدنى و الدولة المرينية في المغرب الأقصى و دولة بني عبد الواد (الدولة الزيانية) في المغرب الأوسط وكانت هذه الأخيرة أضعف هذه الدول الثلاثة.

و ذلك راجع الى أن الظروف الداخلية في مملكة بنى عبد الواد خاصة وفي المغرب الأوسط عامة لم تكن لتسمح بقيام دولة قوية خاصة مع غياب السلطة القومية، مما جعل المنطقة مسرحا لمختلف الصراعات القبلية مما سهل في ظهور حركات انفصالية كثيرة هذا بالإضافة الى أن العلاقات بين باقي الدول المغاربية المستقلة تميزت بالتطاحن و عدم الاستقرار و الصراعات المستمرة وظل عرش الدولة الزيانية مهدد من طرف هذه القوى الاقليمية (الحفصيين من الشرق و المرينيين من الغرب)، كل هذه الأوضاع السياسية المتدهورة في المغرب الاسلامي جعلت منه محل أطماع الدول الأوروبية خاصة إسبانيا التي ما فتكت تحتل عدة مدن ساحلية في شمال افريقيا.

2- أسباب الاحتلال الاسباني لسواحل المغرب الاوسط:

ا- الأسباب الدينية:

إن زواج "فرديناند" (ملك الأرغون) و "إليزابيلا" (ملكة قشتالة) تم بمباركة البابوية و قد منحهم الملوك الكاثوليك في عهد البابا "الكسندر الرابع" و هو نفسه الذي أصدر سنة 1494 عهدا يبارك فيه الحملة الصليبية الإسبانية على إفريقيا.

يقول "فرناند برودال" " أن التعصب الديني و الرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين واردة "ذلك . لقد حذا الإسبان أواخر القرن 15 و طوال القرن 16 إلى تدخل بالغزو في البلاد الإسلامية في الشمال الإفريقي و أضاف قائلا:(إن الحرب الإسبانية في إفريقيا قد أخذت صيغة الطلابية الحقيقية ،و ذلك نظرا للدور الممتاز الذي قام بأدائه رجال الكنيسة و الكهنوت من أجلها ،فالكنيسة بإسبانيا قد اهتمت بجميع ما لديها من حماس ومن الجرأة بهذه المعركة ضد الإفريقيين.

ب- الأسباب السياسية و الاقتصادية:

أرادت إسبانيا باحتلالها للسواحل الجزائرية تطبيق سياسة ما يعرف الآن بحماية الأمن القومي لبلدها ، وذلك عن طريق جعل هذه الموانئ الجزائرية خطوط دفاع أمامية تستطيع منها أن تستطلع و أن تراقب سواحلها من الجهة الجنوبية ، لأنها لن تنسى أبدا أن سقوطها بيد المسلمين جاء من شمال إفريقيا (الجزائر و المغرب) خصوصا.

أما عن الأسباب الاقتصادية فيمكن حصرها فيما يلي:

- استغلال الثروات التي كانت تزخر بها هذه المدن و بالتالي دعم الاقتصاد في إسبانيا الذي كان يعاني من تدهور كبير نتيجة هجرة الأندلسيين و تركهم فراغا رهيبا في سيرورة الاقتصاد الاسباني.

– السيطرة على الطرق التجارية البحرية نظرا للأهمية الاستراتيجية التي كانت تتمتع بها هذه المدن ساهموا في تمويل سفن القرصنة و تشجيعها بدافع الربح من جهة و بدافع الانتقام ممن طردوهم من وطنهم من جهة أخرى .

3- مراحل الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية:

ا- احتلال المرسى الكبير:

غادر الأسطول الاسباني مدينة مالقة يوم29أوت 1505 وكان يقوده "دييغو فريناندیز دي كردوفا" و كان قوامه 150سفينة على متنها 5000جندي، وصل هذا الاسطول بعد أن اعترضته رياح معاكسة المرسى الكبير يوم 11سبتمبر، و هذا ما جعل عدد كبير من الجزائريين الذين هبوا للدفاع عن الميناء للانسحاب اعتقادا منهم أن الاسبان تخلو عن المشروع تاركين في المرسى الكبير عدد قليل منهم من أجل المراقبة و الاستطلاع و لما ظهر لهم الإسبان استدعوا قومهم فرجعوا الى الميدان أما حامية المرسى الكبير فلم يكن عددها يتجاوزه 50 من المجاهدين .

لقد قاوم الجزائريون بكل ما أوتوا من قوة في المرسى الكبير و قد خلدت كتب التاريخ الشجاعة و البسالة التي أبدوها في مقاومة الاسبان و نذكر منهم "دو غرامون" الذي قال "لقد قاوم الجزائريون مقاومة شجاعة إلا أن النار أجبرتهم على ترك الساحل و النزوح نحو الجبال حيث لاحقهم المهاجمون بالسيوف في كل مكان".

و لكن رغم هذه المقاومة الشرسة التي أبداها سكان المرسى الكبير إلا أنهم في الاخير استسلموا و سلموا المدينة للإسبان و قد أمنهم "دييغو دوكوردوفا" على حياتهم و على حقهم في أخذ أموالهم و حتى أسلحتهم باستثناء المدفعية و بمجرد أن تسلم "دوكوردوفا" قلعة المرسى الكبير قام بتحويل المسجد الى كاتدرائية مع تجديده على نمط كنيسة "نوتردام" في هذه الاثناء وصل الى المرسى جيش تلمسان (عاصمة

الدولة الزيانية) الذي كان من المفترض أن يساهم في المقاومة، وكان قوامه 22ألف جندي مشاة و الفى فارس و لكن الامور كانت قد حسمت في المرسى الكبير.

وما إن وصلت الأخبار للعرش الملكي في إسبانيا حتى أقيمت الافراح و الاعياد و تم تخصيص ثمانية أيام لإقامة الصلوات شكر للرب على حسب تعبيرهم وطلب الملك "دون دييغو" لإسبانيا و ذلك لتهنئته أمام العلن.

وبعد عودة الاسطول الإسباني الى إسبانيا ترك في المرسى الكبير حامية تتكون من 7آلاف الى8آلاف مقاتل تحت إمرة الكابتن ""دون روي دي روكساس" بالنيابة .

ب- هزيمة الإسبان في مسرغين 1507:

في 6جوان 1508 غادر "دييغو دي كوردوفا" المرسى الكبير ، ومعه تقريبا كل رجال الحامية الاسبانية قاصدين مسرغين التي تبعد حوالي 12 كلم عن وهران ، وذلك لتوفير الحبوب و الحيوانات و استغلال الأراضي الزراعية، و قد ساعدهم في ذلك عملاء من قبيلتي "قنزة" و" بني عامر"، في البداية نجح الإسبان في غاراتهم، و لكن في طريق عودتهم حوصروا من طرف مقاومي المناطق المجاورة فاضطروا للفرار تاركين ورائهم غنائمهم و متكبدين خسائر كبيرة حيث قتل منهم 3000 جندي و لم ينجو منهم سوى "دي كوردوفا" الذي التحق بجنوده داخل المرسى الكبير.

ج- احتلال وهران:

بعد سقوط المرسى الكبير في أيدي الإسبان وجعله قاعدة عسكرية لمختلف تحركاتهم قررت إسبانيا أن تكون وهران المحطة القادمة، خاصة أن السلطة الزيانية كانت غير قادرة على رد أي هجوم يستهدف المدينة إضافة إلى هذا ان الاستخبارات الإسبانية عن طريق جواسيسها الذين نذكر منهم "فيانلي" استطاع أن يقدم تقرير مفصلا عن المدينة و ظروفها الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و موقعها الاستراتيجي الذي جعل منها معبرا تجاريا مهما.

و نظرا لتوفر الظروف المناسبة فقد استطاع الكاردينال "خمينيس" أن يقنع الملك "فرديناند" بعد عدة محاولات منه بضرورة احتلال وهران، و بالفعل قام الملك في 20أوت 1508 بتعيين الكاردينال "خمينيس" قائدا عاما للأسطول الإسباني و بدأ بالتحضير للحملة.

و في 16 ماي 1509 غادر الأسطول الإسباني ميناء قرطاجنة بتعداد أكثر من 80 سفينة من مختلف السفن و على متنها 24 ألف جندي يقودهم "بيدرو نافارو" في حين أن "خمينيس" عين قائدا عاما للحملة .

و في 18 ماي وصل الاسطول الإسباني الى المرسى الكبير و في اليوم الموالي بدأت المعركة التي انتهت بانتصار الإسبان و ذلك بعد الخيانة التي قام بها اليهودي" ستورا " اذ استطاع حاكم المرسى الكبير شراء ذمته و بدوره و بنفس الوسيلة استطاع أيضا أن يشترى ذمة اثنين من الذين كانوا يعملون معه، و هما ""عيسى العربي" و "ابن قانص" و قد قام هؤلاء بفتح أحد ابواب مدينة وهران للإسبان و بعد أن دخل الجنود الإسبان المدينة بدأت سياسة التقتيل و النهب حيث أنه و في وقت قصير تم قتل 4000 شخص، واصبحت الشوارع مليئة بالجثث، في حين أن الإسبان لم يفقدو سوى 30جنديا.

كما قام جنود الحملة بنهب التحف و النفائس ، وقد قدر قيمة ما تم نهبه بـ24 مليون قام الجنود بتقسيمها فيما بينهم، أما الكاردينال "خيمينيس" فقد قام بتحويل المساجد الى كنائس و قام بسرقة المخطوطات النادرة و الثمينة و الثريا الخاصة بالمسجد الاعظم و أخذها معه حين رحل يم 23 ماي الى اسبانيا و ترك على المدينة "بيدرو نافارو" الذي تم استبداله في نهاية نوفمبر بـ"روي دياز" في انتظار وصول "دييغو دي كوردوبا"، من جهته اعترف الحاكم الزياني ابي حمو الثالث بتبعيته للإسبان و قبوله دفع جزية سنوية مقدارها 12 الف اوقية و هدايا أخرى.

د- احتلال بجاية:

احتلت مدينة بجاية مكانة مرموقة ليس في المغرب الاوسط فقط و انما في عموم المغرب الاسلامي، فقد اعتبرت من أهم مراكز الإشعاع الحضاري هذا بالإضافة الى موقعها الاستراتيجي و طريقها التجاري البحري الذي أكسبها مكانة اقتصادية مهمة في المنطقة.

كانت بجاية تخضع للدولة الحفصية و الحقيقة أن السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد الخامس(1494–1526) لم يكن يملك إمكانات كافية أو جيشا قويا لرد أي عدوان خارجي حتى أن القلاع البحرية كانت تفتقر الى الكثير من ضروريات الدفاع ، ولهذا وقع اختيار الاسبان على مدينة بجاية.

غادر الاسطول الإسباني المرسى الكبير في 30 نوفمبر 1510 متوجها نحو جزر البليار يقودهم "بيدرو نافارو" و في 01 جانفي غادر هذا الأسطول جزر البليار و وصل الى بجاية في اليوم الخامس من ذات الشهر و كان يتكون من 15 سفينة على متنها 14 ألف جندي استطاع الإسبان أن يحتلوا المدينة في وقت وجيز و قد أرسل ""بيدرو نافارو ""تقريره عن الوقائع الى الملك و اهم ماجاء فيه "إن إحتلال المدينة كان سهلا"، لم تسلم مدينة بجاية هي الاخرى من الدمار ومن تخريب معالمها و قدر عدد القتلى 4100 مسلم.

إن سقوط وهران ثم بجاية في ظرف وجيز يضاف لها عنف الهجومات الإسبانية و المعاملة القاسية أحدث موجة من الهلع و الرعب على طول سواحل المغرب الاوسط ، ولهذا أسرع العديد من الحكام المحليين للمدن نحو الطاعة و الخضوع لسلطانه.

هـ- المدن التي خضعت طواعية للإسبان:

- **مدينة تنس1510:** كانت تنس أول المدن التى سارعت الى إعلان خضوعها للإسبان، ذلك أن حاكمها "يحى الزياني" كان قد أعلن ولائه للإسبان قبل 1510

بسنتين، لان الإسبان هم من قاموا بتوليته على تنس، و قد انجر عن هذا الخضوع أثار سلبية على باقي المدن الساحلية خاصة مدينة الجزائر غير بعيدة عنها.

كما أن الإسبان ضمنوا مورد اقتصادي جديد يضمن لهم تمويل حملاتهم عند احتلالهم لباقي المدن الساحلية.

- **مدينة الجزائر1510:** بمجرد أن سقطت مدينة بجاية غادر مدينة الجزائر وفد من أعيانها يرأسه "سالم التومي" متوجها الى بجاية حيث اجتمع مع قائد الأسطول "بيدرو نافارو" و اتفق الطرفان على أن يعقدان معاهدة سلام بينهما حددت مدتها الزمنية بعشر سنوات و أهم ما جاء في بنودها :

أن تدفع مدينة الجزائر ضريبة للعرش الإسباني و الخضوع و الولاء التامان للسلطات الإسبانية و إطلاق سراح جميع الأسرى النصارى دون قيد أو شرط، كما نصت هذه الاتفاقية على إقامة حصن اسباني على احدى الجزر الصخرية الصغيرة المقابلة لمدينة الجزائر و التي كانت تسمى "إسطفلة "و ذلك حتى يستطيعون من خلالها حراسة تجارتهم و يضمن حرية مواصلاتهم التجارية إضافة الى جعل مدينة الجزائر تحت رحمة مدافعهم، و بمجرد امضاء هذه الاتفاقية أسرع في الإسبان في ارسال أحد أمهر مهندسيهم "مرتينودي زنتيريا" للإشراف على بناء القلعة و التي اصبحت تسمى "صخرة الجزائر" أو "حصن بينيون".

- **استسلام مدينة شرشال و دلس:** و في السنة الموالية لخضوع مدينة الجزائر سارع شيخ مدينة شرشال الى عقد معاهدة استسلام مع إسبانيا في شهر ماي1511 ، ونصت على الاعتراف بالحكم الإسباني على المدينة ، ودفع ضريبة سنوية لملك إسبانيا، أما دلس فبدورها ارسلت وفدا الى اسبانيا طالبة التبعية و الخضوع مقابل ان

تدفع ضريبة سنوية و التخلي عن الحصون التي كانت بحوزتهم للإسبان و غلق الموانئ في وجه السفن المعادية لإسبانيا.

- **خضوع مدينة مستغانم:** في 26 ماي1511أمضى أعوان مدينة مستغانم على معاهدة الاستسلام مع إسبانيا و قد نصت الاتفاقية على أن يدفع سكان مستغانم نفس الضريبة التي كانوا يدفعونها للحاكم الزياني للسلطات الاسبانية و إطلاق سراح جميع الأسرى النصارى الموجودين بالمدينة و تزويد الحامية الإسبانية المتواجدة بوهران بجميع ما تحتاجه من مؤونة بسعرها الحقيقي، كما نصت على أنه في حالة ترميم الحصون و تطوير وسائل دفاع المدينة فإنه يجب على السكان تقديم المساعدة بإعارة حيواناتهم كما طلب منهم أن لا يسمحوا بشحن أو تفريغ أي باخرة في الميناء دون الحصول على إذن من الملك.

- **احتلال عنابة:** بعد أن أخضع "بيدرو نافارو" مدينة بجاية توجه نحو الشرق لإخضاع إمارة تونس الحفصية ، وفي طريقه توجه الى مدينة عنابة ، و احتلها دون مقاومة تذكر وذلك سنة 1510.

- **خضوع تلمسان:** ان كثرة الاضطرابات التي عصفت بالأسرة الحاكمة الزيانية و استنجاد البعض من أفرادها بالقوات الإسبانية لتمكينهم من العرش الزياني و افتقارهم لقاعدة شعبية مكن الإسبان من فرض سيطرتهم على الزيانيين، حتى أنهم اضطروا الى إمضاء معاهدة الاستسلام في 20جوان 1511 وذلك ضمن نفس البنود التى مضتها باقي المدن المستسلمة لإسباني

المحاضرة الثانية

نشاط الأخوة "بربروس" بالمغرب الوسط:

في ظل هذه الظروف التي كان يشهدها المغرب الأوسط من ضعف الدولة الزيانية و الزعامات المحلية المختلفة، و الاحتلال الإسباني التي استطاع أن يحتل و يخضع عدة موانئ في المغرب الأوسط كانت أصداء انتصارات الأخوة بربروس "عروج" و "خير الدين" المسلمين في البحر الأبيض المتوسط قد عمت المغرب الأوسط ، خاصة أنهما كانا لهما دور كبير في نجدة و إنقاذ مسلمي الاندلس الفارين من محاكم التفتيش في اسبانيا عقب سقوط مدينة غرناطة في جانفي 1492، إذ انهما قاما بتجهيز 36 سفينة قامت بسبع رحلات ذهابا و إيابا ، وبلغ مجموع المرحلين الأندلسيين 70ألف أندلسي و ذلك ما دفع بسكان المغرب الأوسط إلى التطلع لهؤلاء الأخوة المسلمين لإنقاذهم من المحتل الإسباني.

1- حصار بجاية الأول و الثاني:

يذكر "خير الدين" في مذكراته أنهم خرجوا من حلق الواد –بتونس حيث كانو مستقرين– يريدون التوجه للغزو إلا أنه بسبب الرياح العكسية توجهوا الى قلعة بجاية و رسوا بالقرب منها، حيث اشتبكوا مع سفن اسبانية و التي استطاعت أن تحتمي بقلعة بجاية فأعطى "عروج" أوامره بالشروع في الهجوم على القلعة، ذكر لنا هايدو أن حصار بجاية هذا حدث في أوت 1512 و أن عروج حاصرها بتعداد 12 سفينة محملة بالمدافع و الذخائر و على متنها ألف تركي، إلا أن هذا الحصار فشل بسبب انسحاب اسطول الأخوة بربروس و ذلك نتيجة تعرض عروج لإصابة في ذراعه الايسر أرغمتهم على فك الحصار و العودة الى تونس للعلاج.

أما الحصار الثاني لبجاية فكان في شهر أوت من سنة 1514 و ذلك عقب استنجاد علماء و أعيان بجاية بهم لإنقاذهم من يد العدو ومما جاء في هذه الرسالة "أن كان

ثمة مغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة و التعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان ، فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم ، جعلكم الله سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا إليكم فتفضلوا بتشريف بلدنا و عجلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفار".

و تلبية لهذا النداء قدم الاخوة بربروس الى مدينة بجاية في 10سفن على متنها 2033 بحارا و 150 مدفع و آلاف الأسرى الذين يقومون بعمليات بالجدف .

تمكن الأخوة بربروس من فتح القلعة القديمة لمدينة بجاية ،إلا أنه مع حلول منتصف سبتمبر و مع بداية سقوط أولى أمطار فصل الخريف انسحب سكان القبائل الى قراهم و مداشرهم لحرث أراضيهم، و لم يكتمل الفتح أو التحرير الكلي للمدينة و اضطر الأخوة بربروس لفك الحصار عن المدينة للمرة الثانية، خاصة أن قوات الأخوة بربروس عرفت خسائر كبيرة و لهذا فضلوا الالتجاء الى مدينة جيجل خاصة بعد وصول نجدات الإسبانية الى بجاية بقيادة "مارتان دي رونتيريا" و هو قبطان إسباني استدعاه الملك "فرديناند" و أوكل له مهمة نجدة بجاية.

2- تحرير جيجل:

على أثر فشل الحملة الثانية عل بجاية انسحب الأخوة بربروس الى جيجل حيث تمكنوا من الاستلاء على قلعتها التي كانت بيد الجنويين و ذلك سنة 1514، وكانت أول قاعدة قوية لهما في المغرب الأوسط خاصة بعد أن التحق بهم الآلاف من سكان القبائل و المدن المجاورة لمساندتهم على تخليص البلاد من الإسبان.

و مما زاد تمسك السكان بالأخوة بربروس هو مساعدتهم على تخطي أزمة المجاعة التي كان يعاني منها سكان جيجل و ذلك أن الأخوة بربروس استطاعوا أن يستولوا على ثلاثة سفن محملة بالقمح ذاهبة من صقلية الى اسبانيا فعادوا سريعا الى جيجل و قاموا بتوزيع ما تحصلوا عليه على السكان، هذه الالتفاتة أكسبتهم شعبية كبيرة و

زادت من شهرتهم حتى أن سكان جيجل قاموا بتعيين "عروج" ملكا عليهم و أثناء وجودهم بجيجل قام الأخوة بربروس بمحاولة ثالثة لتحرير بجاية، وذلك في خريف1515 حيث توجه "عروج" بأسطوله المكون من 12 سفينة و اخترق واد الصومام و توغل فيه و قام بالإنزال البري بعد أن التحق به عدد كبير من سكان القبائل بقيادة عبد العزيز حاكم بني عباس و أحمد بن القاضي الذي أسس إمارة كوكو بجرجرة سنة 1511، كانت بجاية خلال هذه الفترة تحت حكم ""رامون كاروس""و بعد ثلاثة أشهر من حصار عروج للمدينة اضطر للانسحاب بعد وصول نجدة اسبانية من خمس سفن و نفاذ البارود، فعاد 'عروج" الى جيجل برا بعد أن اضطر الى حرق جميع سفنه لاستحالة إعادتها للبحر عبر مصب واد الصومام.

3- قدوم "عروج" لمدينة الجزائر :

بعد وفاة الملك الإسباني الكاثوليكي المتعصب ""فرديناند" سنة 1516، رأى سكان مدينة الجزائر و على رأسهم "سالم التومي" أن الفرصة أصبحت سانحة للتخلص من الإسبان و حصن "البينيون"، ولهذا أوفد سكان مدينة الجزائر عدة شخصيات بارزة للأخوة بربروس لإقناعهم و الترحيب بقدومهم لتخليصهم من ظلم النصارى و تهديم هذه القلعة، فقبل الأخوة بربروس هذا الطلب و رأوا فيه فرصة لتوسيع مناطق نفوذهم خاصة أن مدينة الجزائر مريحة ومناسبة لعمليات الجهاد البحري

و أما عن القوات التى تحرك بها "عروج" باتجاه مدينة الجزائر فالمعلومات حولها متباينة ففي حين ذكر كل من "عزيز سامح التر" و "هايدو" أن "عروج" جهز 16 سفينة بالمدفعية و الذخيرة و أرسلها مع نصف جنوده بحرا و النصف الثاني البالغ عدده 800 جندي توجهوا برفقته برا الى مدينة الجزائر و في الطريق انظم اليه 5000 شخص من القبائل. ذكر "كورين شوفالييه" صاحب كتاب "الثلاثون سنة الاولى من قيام دولة الجزائر1510-1541" بأن الأسطول كان مشكلا من سفينتين

حربيتين و لحق به إخوته بـ 280تركي و أربع سفن صغيرة و 15 قطعة مدفعية كبيرة.

و ما كاد "عروج" يستقر به المقام بالقرب من مدينة الجزائر في توجه مباشرة الى مدينة شرشال واعدا سكان الجزائر بالعودة سريعا ، وذلك و على حسب ما ذكره "هايدو" أن أحد مساعديه القدامى و يدعى "قارة حسن" كان قد سبقه اليها و أنشأ فيها إمارة صغيرة خاصة أن سكانها غالبيتهم من الأندلسيين الفارين من إسبانيا وهم يجيدون ركوب البحر ، كما أن خلوها من سلطة محلية ساعده على الاستقلال بها ، ولهذا "عروج" كان يدرك جيدا خطورة أن يستقر بمدينة الجزائر و في شرشال منافس قد يباغته في أي لحظة ، ولهذا توجه اليها ودخلها بدون مقاومة و قضى على "حسن قارة" و عين نفسه حاكما عليها ، وبعد أن ترك فيها مائة تركي توجه مرة ثانية الى مدينة الجزائر.

إن أول ما قام به عروج عند وصوله الى مدينة الجزائر هو مهاجمة حصن "بينيون" في12 أوت 1516 و بعد 20 يوم من حصاره رأى سكان مدينة الجزائر أن "عروج" لم يحقق أي تقدم بمجيئه و أخذوا يتذمرون من غطرسة و سوء معاملة الأتراك ، ومع ظهور بوادر التذمر لدى سالم التومي قام "عروج" بالتخلص منه اذ وجد مقتولا في حمامه و عين "عروج" نفسه حاكما على مدينة الجزائر ،أما إبن "سالم التومي" فقد فر الى وهران و التجأ الى الإسبان لنجدته و مساعدته لاستعادة الحكم من الأتراك.

و نظرا للأوضاع الصعبة التي كان يعيشها الجنود الإسبان المحاصرين في قلعة "بينيون" و نفاذ الماء العذب من عندهم قرر الكاردينال "خمينيس" في خريف1516 تنظيم حملة تأديبية لإخضاع مدينة الجزائر هذه الحملة كانت مجهزة بـ35 سفينة على متنها 3000 جندي و تحت قيادة ""دييغو دي فيرا""، وقد وصلت الى مدينة الجزائر في 30 سبتمبر و قد رست بالقرب من باب عزون ، وفي اليوم الموالي تم

إنزال الجنود في واد النغاسل ، إلا أن نزولهم بصفة فوضوية مكن قوات الدفاع الجزائرية من صدهم و برغم نصيحة حاكم حصن "بينيون" (نيكولاس دي كونيت) ألا أن ""دي فييرا أشرك جميع رجاله بشكل حكيم و بدون تأمين خط رجعتهم ، ومما زاد الطين بلة سوء الأحوال الجوية التى عقدت من مهمة الإسبان. في هذه الأثناء الحرجة قام "عروج" بهجوم مباغت على معسكر الإسبان فقضى عليهم و أخذ منهم 700 أسير في حين أن "عروج" فقد 300 جندي.

- الاستلاء على تنس:

كان أول من خرج الى تنس للسيطرة عليها "خير الدين بربروس" إذ خرج في 10سفن و لما وصلها وجد 4 سفن إسبانية راسية بالميناء فاحتما الإسبان بأسوار القلعة فاستولى "خير الدين" على سفنهم و ذخيرتهم و استطاع أن ينزل الى البر و معه 1500 جندي و عسكر بالقرب من القلعة في هذه الأثناء فر الإسبان و حليفهم حاكم تنس "أبو حمو" ابن اخ سلطان تلمسان ، و لكن "خير الدين" بعث من يتعقبهم و أدركوهم في اليوم الموالي و استطاعوا أن يأسروا منهم350 جندي إسباني في حين أن الاتراك فقدوا 70 أو 80 جندي ، و بعد أن عين "خير الدين" نائبا له على تنس عاد الى مدينة الجزائر ، إلا أن أمير تنس الهارب ما فتك يقول "أن ملك إسبانيا سوف ينتقم لي من هؤلاء الأتراك"" و هذا ما جعل ثائرة "عروج" تقوم فقرر الخروج اليه بنفسه ، و في جوان 1517 خرج عروج لملاقاة حاكم تنس و معه 1500 جندي ، و في طريقه عرج على المدية و مليانة و واصل سيره غربا ليلتقي مع جيش حاكم تنس في "واد جر" بسهل شلف و مع أول مواجهة استطاع "عروج" دخول تنس بدون مقاومة في هذه الاثناء قدم الى عروج وفد من تلمسان يطلب مساعدته و حمايته من السلطان "أبو حمو الثالث" الذي استولى على الحكم و تحالف مع الإسبان ضد إبن أخيه السلطان الشرعي "أبو زيان" و سجنه في "قلعة المشور" ، و

بالفعل توجه "عروج" الى تلمسان ، وفي طريقه استطاع الاستلاء على "قلعة بني راشد" و ترك عليها أخوه "اسحاق" .

كانت أول مواجهة لعروج مع القوات "أبو حمو الثالث" في سهل أربال و كانت قوات هذا الأخير تتكون من 6000 فارس و 3000من المشاة أستطاع عروج الانتصار على هذه القوات و واصل سيره الى تلمسان.

حالما وصل "عروج" الى تلمسان فتحت له الأبواب و استقبل بالترحاب، فر "أبو حمو" في البداية الى فاس و منها ذهب الى وهران و منها الى إسبانيا لطلب يد العون ، أما "عروج" و بعد دخوله مدينة تلمسان فقد قام بإطلاق سراح "أبو الزيان" و سلمه الحكم ألا أن "عروج" سرعان ما انقلب على "أبو زيان" نظرا للفوضى التي عرفتها تلمسان و قام بقتله و أعلن نفسه حاكما على المدينة، وأمر بقطع جميع العلاقات مع الإسبان، قرر "عروج" قضاء الشتاء في تلمسان برفقة 7000 جندي فقام بتحصين المدينة، و أرسل جنوده للسيطرة على المناطق المجاورة لتلمسان فأخضع "وجدة" و "تيبدا".

و خلال هذه الفترة قامت إسبانيا بتقديم المساعدة لأبي حمو الثالث حيث وفرت له 300 جندي بالإضافة الى القبائل الموالية للإسبان و أتباع الزيانيين و توجه بهذه القوات الى "قلعة بني راشد" حيث كان هناك "إسحاق" فتمت محاصرته ثم مهاجمته ، و رغم المقاومة الشديدة التي أبداها "إسحاق" و جنده إلا أنه و أمام مقتل ثلثي جنده طلب الأمان و بمجرد خروجه من القلعة انقض عليه جنود "أبو حمو الثالث" و الإسبان و قاموا بذبحهم جميعا و كان ذلك أواخر شهر جانفي و مطلع سنة 1518.

و بعد هذه الحادثة قام حاكم وهران الماركيز "جوماريس " بالاستلاء على "شقرون" و التوجه الى تلمسان .

و بداية من شهر ماي 1518 توجه حاكم هران و معه "أبو حمو الثالث" الى تلمسان فلم يجد "عروج" بدأ الى الاحتماء بالقلعة آملا أن تصله النجدة من ملك فاس

الذي كان قد وعده بذلك، وبعد 6 أشهر من الحصار ونتيجة لتفاقم الأوضاع داخل المدينة و لأن القتال كان على استمرار دائم قرر سكان المدينة التخلي عن الأتراك، عندها قرر عروج و أتباعه الخروج ليلا من مدينة تلمسان، و لم يشعر الجنود الإسبان بخروجه إلا بعد مدة ، وحالما انتبهوا للأمر كلفوا مفرزة من الفرسان بملاحقته و في اليوم الموالي لحقت به المفرزة بالقرب من "ريو دي سالادو " و عندما أدرك عروج عدم قدرته على مواجهة الإسبان نظرا لقلة عدد جنوده و بقصد إشغالهم عن ملاحقته قام بنثر بعض المال و الذهب و الأشياء الثمينة التي كانت بحوزته ، ولكن ذلك لم يفده و بقي يقاوم الى أن قتل بعد أن رماه قائد المفرزة "ألفاريز جارسيادي تيدينو" و قام بقطع رأسه و حمله مع البسته البحرية و الشال الذهبي الى وهران ومنها الى اسبانيا، حيث قدمت هدية الى كنيسة "سانت جيروم" في قرطبة .

- الحاق الجزائر بالدولة العثمانية:

بعد استشهاد "عروج بربروس" أراد الماركيز "دي كوماريز" مواصلة سيره الى مدينة الجزائر لأنه يعلم أن "خير الدين بربروس" الذي كان حاكما للمدينة بالنيابة عن اخيه أصبح بدون قوة حقيقية حتى أن "خير الدين" راودته فكرة ترك الجزائر مع جنوده و العودة الى دلس أو جيجل إلا أنه و بعد ان أمن مكائد الإسبان بدأ "خير الدين" يغير من خططه و أخبر أعيان مدينة الجزائر بأنه لا يقوى بإمكاناته المحدودة أن يتصدى للإسبان، خاصة لما رأى كثرة المؤامرات و الدسائس التي كان يحيكها الأمراء المحلين في مناطق مختلفة من البلاد ، والتي كانت من آثارها مقتل كل من أخويه "إسحاق" و "عروج" و لهذا اقترح عليهم أن يعرضوا تبعيتهم للدولة العثمانية فيدخلون بذلك تحت حماية خليفة المسلمين و يقرأون الخطبة و يسكون النقود باسمه فوافق أعيان مدينة الجزائر على ذلك و أرسلوا وفدا يمثل الجزائر و أهاليها يترأسه الشيخ "أبو العباس أحمد بن القاضي" ، في حين أن خير الدين اختار "حاجي حسين

آغا" الذي كان محل ثقته و بعد رحلة دامت 21 يوما وصل الوفد الى مدينة إسطنبول فاستقبله السلطان "سليم الأول" في قصره و وضع "حسين آغا" الهدايا بين يدي السلطان التي أرسلها خير الدين ، وكان رد السلطان العثماني أن وافق على مطلب الوفد و الذي مكث في اسطنبول واحد و أربعون يوما ، وقبل المغادرة "حسين آغا" لإسطنبول دخل على السلطان لأداء زيارة الوداع و في هذه الزيارة قام السلطان بتسليمه فرمانا كان قد كتبه بخط يده ورد فيه أمر تعيين خير الدين "بيلربايا" على الجزائر و تم تسليمه سيفا مرصعا و خلعة مذهبة و راية الإمارة و قال له

(إسمع أيها الرئيس سلم هذا السيف لخير الدين باشا ليتقلده بعزة و شرف و ليلبس خلعتي السلطانية و لتكن رايتي دائما لا تفارقه دعواتي لكم أن يتولاكم الله بنصره ، وأن يبيض وجوه جميع خدمي المجاهدين بالجزائر في الدارين آمين برحمة سيد المرسلين صلى الله عليه و سلم) عاد "حسين آغا" الى الجزائر بعد رحلة دامت 16 يوم و دعاه خير الدين على الفور الى مجلسه فاستلم هدايا السلطان و تقلد السيف و لبس الخلعة السلطانية ، هنا شعر "خير الدين" براحة كبرى لأن الإسبان سيحسبون له ألف حساب و هو تحت حماية السلطان "سليم الاول" .

و هكذا و في ظل كل هذه الظروف أصبحت الجزائر إيالة عثمانية و استمر الوضع على هذا النحو أكثر من ثلاثة قرون.

المحاضرة الثالثة

مراحل نظام الحكم العثماني في الجزائر:

1- مرحلة البيلربايات -"باي البايات- " :1519-1587:

تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل الحكم العثماني في الجزائر و هي كلمة تركية تعني "أمير الأمراء" و هو منصب من المناصب الرفيعة في الدولة العثمانية، ومنح السلطان "سليم الاول" هذا اللقب لخير الدين دلالة واضحة على امتيازه و أهمية ولايته التي يحكمها كنائب للسلطان فقد اعتبرت الجزائر قاعدة للحكم و للنشاط العثماني في شمال إفريقيا و الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط كما اشرفت الجزائر على إخضاع باقي الولايات الشمال الافريقية للدولة العثمانية و ظلت مسؤولة عن تسيير شؤونهم حتى نهاية عصر البيلربايات.

و قد تناوب على حكم الجزائر خلال هذه الفترة أكثر من عشرين بيلربايا أولهم "خير الدين بربروس" (1519-1533) و آخرهم "حسين فينزيانو"(1582-1587).

يعتبر "خير الدين" أهم بيلربايات الجزائر نظرا للدور الذي قام به في ارساء أسس الحكم العثماني بالجزائر، و نظرا للإنجازات التي قام بها اذ انه استطاع ان يرد الحملة الاسبانية بقيادة "هوغو دي مونكادا" عن مدينة الجزائر في اوت 1519 كما استطاع في سنة 1520 ان يخضع مدينة القل و في السنة الموالية أخضع مدينة قسنطينة و في سنة 1522 استولى على عنابة و في صيف 1529 بدأ "خير الدين" في قصف "قلعة بينيون" بمدينة الجزائر و بعد ثلاثة أسابيع من الحصار و القصف استطاع "خير الدين" الاستيلاء عليها، و استسلم من بقى من حاميتها و استخدم أنقاضها في بناء ميناء الجزائر، كما استطاع رد الحملة الاسبانية على مدينة شرشال سنة 1531 بقيادة "أندريا دوريا".

إلا أن السلطان العثماني "سليمان القانوني"(1520-1566) قد استدعاه سنة 1533 ليتولى منصب أميرل الأسطول العثماني، فعين "خير الدين" خلفا له أحد أتباعه(و

هو ابنه بالتبني) و هو "حسن آغا" أصله من سردينيا، و لعل أهم حدث خلال فترة حكمه هو حملة شارل الخامس(شارلكان)على مدينة الجزائر ، والتي قادها بنفسه بأسطول مكون من 516 سفينة شراعية، بما في ذلك 65 سفينة كبيرة على متن هذه السفن12330بحارا 23900 جندي و قد شارك في هذا الأسطول عدة دول أوروبية (ألمانيا ايطاليا، مالطة) و بتاريخ 20أكتوبر وصل الأسطول الى محيط مدينة الجزائر، إلا أن الحملة منيت بهزيمة كبيرة نتيجة سوء الأحوال الجوية و المقاومة التي أبداها "حسن آغا" و اضطر الإمبراطور شارلكان الى الفرار.

و من أشهر بيلربايات الجزائر ايضا و الذين كان لهم دور كبير في تنظيم إيالة الجزائر، نجد "حسن باشا ابن خير الدين بربروس"، و قد تولى منصب الوالي على ثلاث مراحل (1544-1552)-(1557-1561)-(1562-1567)، إذ يعود له الفضل في استحداث التقسيم الإداري الذي عرفته الجزائر خلال العهد العثماني و قد قسمت الى أربعة أقاليم أو بيالك وهي:

- دار السلطان: وتضم الجزائر العاصمة و ضواحيها(من تنس شرقا الى دلس غربا) و هي خاضعة مباشرة لسلطة الحاكم
- بايلك التيطري و عاصمته المدية (استحدث سنة 1548)
- بايلك الشرق و عاصمته قسنطينة (استحدث سنة 1543)
- بايلك الغرب عاصمته مازونة ثم معسكر و انتقلت الى وهران بعد تحريرها من الاسبان في المرة الاولى سنة 1708، ثم التحرير النهائي سنة 1792 و استحدث سنة 1563.

كما نجد ان من أشهر بيلربايات الجزائر ايضا "صالح رايس"(1552-1556) و هو عربي مصري الأصل و هو من أتباع الاخوة بربروس إذ استطاع ان يخضع تقرت و ورقلة كما استطاع تحرير بجاية بداية من 28 سبتمبر 1555 و اضطر حاكمها

"الونزو دبيرالاتا" الى الفرار ومنها عاد "صالح الرايس" الى مدبنة الجزائر بعد ان ترك حامية بها قوتها 400 جندي تحت إمرة "على ساردو".

ومن البيلربايات الذين كان لهم الاثر البارز في ايالة الجزائر "العلج علي" (1568-1587) و هو نابولي الاصل ولد في "كالابريا" و قد عمل على فرض النظام و تطبيق القانون كما قام بترميم القلاع و الحصون المهدمة كما قاد حملة على تونس سنة 1569 و شارك مع الأسطول الجزائري في معركة ليبانت1571 كما قام بالحاق تونس بالدولة العثمانية سنة 1574.

و بوفاة "العلج علي" سنة 1587 الغت الدولة العثمانية نظام البيلربايات في الجزائر و هذا راجع الى تخوف السلطان العثماني "مراد الثالث"(1574-1595) من أن يتجه البيلربايات بسبب قوتهم البحرية نحو الاستقلال خاصة أن تونس و طرابلس كانت تابعة للجزائر.

2- مرحلة الباشوات(1587-1659):

استحدث السلطان العثماني "مراد الثالث" منصب الباشوات ليحد من سلطة البيلربايات خاصة أن مناصبهم لم تكن محددة بمدة زمنية ، ولهذا أصبح الباشاوات يعينون مباشرة من السلطان بإسطنبول و لمدة ثلاث سنوات، كان أولهم "والى أحمد باشا" و آخرهم "ابراهيم باشا" و نظرا لقصر مدة حكمهم فقد كان همهم جمع المال، و قد عرفت البلاد في عهدهم عدة اضطرابات داخلية منها احتدام الصراع بين القوتين العسكريين البحرية و البرية و تمرد قبائل قسنطينة و ثورة الكراغلة و مع مرور الوقت لم يعد الباشاوات يستطيعون على الوضع فقد نافسهم في السلطة الانكشارية ولما حول "خضر باشا" سنة 1596 أن يتحرر من وصاية هذه الطائفة بمساعدة الكراغلة و القبائل المستعدة للثورة على الدوام ، إلا أن محاولته باءت بالفشل و اضطر ان يتقبل مشاركة الديوان المؤلف من قادة الجند له في السلطة ،حتى أن

الباشا كان يعلن القرارات الرسمية باسمه و باسم الجند حيث كانت تصدر القرارات على نحو التالي ""نحن الباشا و ديوان جند الجزائر التي لاتغلب""

و كثيرا ما كان يتعرض الباشاوات للعزل على اليد الانكشارية، حكم الجزائر 43 باشا تجدد تعيين بعضهم أكثر من مرة و كانوا يشترون مناصبهم بالمال، لهذا كان همهم جمع الثروة لتعويض المبالغ المالية الكبيرة التي قدموها للسلطان مقابل مناصبهم و هذا ماجعل فترة الباشاوات تتميز بالاضطراب و عدم الاستقرار و بالتالي نمو روح حقد الأهالي عليهم، و لكن بالرغم من كل تلك الأوضاع الداخلية غير المستقرة إلا أن ذلك لم يمنع البحرية الجزائرية من مواصلة نشاطها فتمكنت خلال تلك الفترة من شن عدة غارات على المدن الأوروبية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، و ذلك كرد على الغارات التي كان يشنها الأوروبيون على السواحل الجزائرية منها حملة "فرسان القديس يوحنا" على مدينة عنابة في 16أوت 1607 بقيادة" سيليو بيكو لوميني" و التي كانت على عهد مصطفى باشا.

وفي سنة 1659 تضرر رياس البحر من سلوك إبراهيم باشا (1657-1659)حيالهم فزجوا به في السجن فاغتنم الجند الانكشارية هذه الحادثة و استغلوا فرصة شعور منصب الباشا ليعينوا فيه أحد جنودهم تحت اسم آغا و هكذا بدأ عهد جديد عرف "بعهد الأغوات".

2- مرحلة الاغوات(1659-1671):

يعتبر عهد الاغاوات من أقصر فترات الحكم العثماني في الجزائر حكم خلالها أربعة أغاوات هم على التوالي خليل آغا(1659-1660)، و رمضان آغا(1660-1661)، و شعبان آغا(1661-1665)، و على آغا(1665-1671) ، استهل خليل آغا عهده باتخاذ تدابير من شأنها تنظيم مالية الدولة الى جانب توفير موارد اضافية للخزينة إلا أنه تعرض للاغتيال في اكتوبر 1660 فأسندت الآغوية الى ابن

عمه رمضان الذي عرف عهده بداية جفاف شديد شمل جميع مناطق البلاد ، و هذا ما أدى الى انتشار مجاعة كبيرة أدت الى مقتله.

و على العموم فإن عهد الاغاوات شهد عدم الاستقرار حتى أن كل الاغاوات اغتيلوا من قبل الجند بسبب محاولاتهم الاحتفاظ بمنصب آغا أكثر من المدة القانونية المحددة لهم و هي شهرين و لعجزهم عن دفع رواتب الجنود من جهة ثانية، كما اشتد الصراع خلال هذه الفترة بين رياس البحر و الانكشارية و تعرضت البلاد الى عدة غارات أوروبية منها غارة القائد الفرنسي "بوفور" على مدينة جيجل سنة 1664. وقد استاءت طائفة الرياس من هذا الوضع و حملت "علي آغا" مسؤولية الأضرار التي لحقت بالموانئ و السفن الجزائرية كما اتهمته الانكشارية بتكديس الأموال. نظرا لهذه الأسباب تم اغتياله سنة 1671، و عين الانكشاريون خلال ثلاثة أيام مجموعة من الأغوات و لكنهم رفضوا كلهم تولى منصب الأغا الخطير ، و في تلك الآونة استغلت طائفة رياس البحر الفوضى التي سادت البلاد لتعين أحد رياس البحر حاكما للجزائر تحت اسم

المحاضرة الرابعة

مراحل تطور نظام الحكم العثماني في الجزائر02 – مرحلة الدايات– (1671– 1830)

تسلم الدايات السلطة في الجزائر منذ سنة 1671 و قد كان الدايات خلال الفترة ا بين(1671–1682) ينتخبون من طائفة رياس البحر. كان اولهم "الحاج حسين رايس التريكي" و اخرهم "ابراهيم خوجة". و فد عمل هؤلاء الرياس على تقليص نفوذ الديوان و لم يدعونه للانعقاد الا محافظة على الشكل العام. و لم يكونو يتقيدون بقراراته الا اذا كانت مفيدة لهم. و في عهدهم نشطت البحرية الجزائرية مما ادى الى عمليات اوروبية انتقامية لا سيما من فرنسا كحملات سنوات 1682–1683– 1688. هذه الحملات الحقت اضرارا كبيرة بالبحرية الجزائرية و بمدينة الجزائر مما اضعف طائفة رياس البحر و قل نفوذهم. فاسترجع "الاوجاق" نفوذهم و اصبح الداي ينتخب من ضباط الانكشارية الذين ظلوا يتقلدون منصب الداي حتى نهاية العهد العثماني. و كان اخرهم الداي "حسين باشا"(1818–1830).

و كان يساعد الداي في مهامه مجلس الموظفين الكبار. و كان يتكون من "وكيل الحرج" و هو الذي يشرف على البحرية و "خوجا الخيل" و هو بمثابة مدير املاك الدولة و "البيت مالجي" و هو المسؤول عن تسجيل العقود و المواريث و الاغا و هو قائد الجيش و "شيخ الاسلام" و هو بمثابة وزير العدل و الشؤون الدينية و "الخزناجي" و هو المسؤول عن خزينة الدولة.

استهل عهد الدايات كما سبق و قلنا بالداي "حسين رايس التريكي". و نظرا لكبر سنه استعان في الحكم بصهره "بابا حسن" الذي شهدت الجزائر على عهده حملتين فرنسيتين على الجزائر الاولى في اوت 1682 و الثانية في جوان 1683.

و سبب هاتين الحملتين ان الجزائر كانت فد عقدت معاهدة مع فرنسا في سنة 1681 تنص على تبادل الاسرى. و في حين ان الجزائر التزمت بإطلاق سراح

الاسرى الفرنسيين. قامت فرنسا بمخالفة المعاهدة و قامت بإرسال الاسرى الجزائريين كعبيد لخدمة السفن الفرنسية. فثارت ثائرة الديوان في الجزائر و استولى رياس البحر على سفن فرنسية و اسرو 300اسير. و لهذا ققرت فرنسا شن حملة على الجزائر بقيادة الاميرال "دوكين" الذي توجه في البداية الى شرشال فوصلها في جويلية 1682 ثم وصل الى مدينة الجزائر في اوت 1682 و لكنه اضطر الى فك الحصار عن المدينة خوفا من عواصف الخريف. و اعاد "دوكين" الكرة للمرة الثانية في السنة الموالية. اذ انه وصل الى مدينة الجزائر في 18 جوان و ارسل الى الداي "بابا حسن" يأمره بإطلاق سراح الاسرى الفرنسيين البالغ عددهم 550 اسير. و تقديم عدد من رياس البحر الى فرنسا كرهائن. و بالفعل استلم "دوكين" الاسرى و بعض الرهائن و كان منهم "حسين ميزومورتو" الذي طلب من "دوكين" ان يطلق سراحه مقابل ان يتفاوض مع فرنسا في مدة قصيرة. و ما ان اطلق سراح "ميزومورتو" حتى كلف احد اتباعه "ابراهيم خوجة" بقتل "بابا حسن" خاصة ان "دوكين" كان قد طلب من "بابا حسن" ان يدفع له مليون و نصف المليون ليرة كتعويض و هذا ما لم يرض رياس البحر. و بعد مقتل الداي "بابا حسن" خلفه "حسين ميزومورتو"(1683-1686)- اصله من ايطاليا- هذا الداي استطاع ان يجمع بين وظيفتي الداي و الباشا- الباشا الذي كان يرسله السلطان العثماني ممثلا عنه-.

كما اشتهر من دايات الجزائر "محمد بكداش"(1707-1710) و الذي على عهده تم تحرير وهران للمرة الاولى سنة 1708 بعد الحصار الذي فرضه باي بايلك الغرب "مصطفى بوشلاغم".

و لعل الداي "محمد عثمان باشا"(1766-1791) اكثر الدايات تأثيرا خلال هذه المرحلة. اذ يعتبر اطول الدايات حكما. و قد تميز عهده بالاستقرار السياسي كما شيد العديد من المآثر العمرانية كبرج "السردينة" و برج "الجديد" و برج "راس عمار".

و كان الهدف من تشييده لهذه الابراج حماية مدينة الجزائر من الحملات البحرية الاوروبية. و في عهده شهدت الجزائر حملتين فرنسيتين. الاولى كانت سنة 1770 و قادها الفرنسي "كاس" و انتهت بالفشل و قد غنم فيها الجزائريون اربعين مدفعا و 500 قنطار من البارود بالإضافة الى دفع فرنسا لخسائر الحرب الثاني. اما الحملة الثانية فقد كانت تحت قيادة "اوريلي" سنة 1775 و في هذه الحملة تآزر كل من باي بايلك الغرب "محمد الكبير" و باي بايلك الشرق "صالح باي" لردها.

و على عهد الداي "حسن باشا" او – "بابا حسن"– (1791–1798) تم تحرير وهران النهائي سنة1792 على يد الباي "محمد بن عثمان" المعروف ب"محمد الكبير" الذي كان قد تولى منصب وكيل الحرج ثم منصب الخزناجي على عهد "محمد عثمان باشا" و كان ابن اخته.

كما شهدت الجزائر خلال عهد الدايات عدة ثورات محلية ضد الوجود العثماني خاصة مع بداية القرن19. منها ثورة "محمد بن عبد الله بن الاحرش" ما بين 1800–1807 ببايلك الشرق خاصة في مناطق جيجل و ميلة و القل على عهد الباي "عثمان باي" الذي راح ضحية هذه الثورة. اما في بايلك الغرب فقد قامت الثورة الدرقاوية 1802–1816 و قد تزعمها "عبد القادر بن الشريف الدرقاوي" و كانت على عهد الباي "محمد المقلش".

هذه الثورات المحلية كان لها الدور الكبير في اضعاف ايالة الجزائر و هذا ما سهل في الاخير من نجاح الحصار البحري الذي فرضته فرنسا على الجزائر بداية من 1827 لينتهي في الاخير بنجاح الحملة الفرنسية سنة 1830.

المحاضرة الخامسة

العلاقات الخارجية للجزائر و مكانتها الدولية خلال العهد العثماني

1- العلاقات الخارجية للجزائر خلال العهد العثماني:

ا- العلاقات الجزائرية الاسبانية:

كانت العلاقات الجزائرية الاسبانية متوترة منذ البداية وذلك لإصرار إسبانيا على احتلال الموانئ الجزائرية و إخضاعها منذ بداية القرن 16 و قد شنت اسبانيا على الجزائر 10غارات تقريبا كان نصيب أغلبها الخسران و الهزيمة و كانت أول حملة شنتها الاسبان هي حملة "هوغو دو مونكادا" على مدينة الجزائر سنة 1519 ثم تلتها حملة "شارلكان" أكتوبر 1541و منها توقفت الحملات الاسبانية لمدة قرنين تقريبا لتشهد مدينة الجزائر حملة 31 جويلية 1775 بقيادة "دون بيدرو كستيفو" و الجنرال "أورلي "و جندت لها اسبانيا ما يقارب 25 ألف رجل و 400 وحدة بحرية، إلا أنها انتهت بالفشل مما اضطر الإسبان الى التفاوض مع الداي "محمد عثمان" باشا الذي رفض التفاوض مع الإسبان و ملكهم "شارل الثالث".

ثم كانت حملة الأول من أوت 1783 بقيادة "دون أنطونيو بارثيلو" بالتعاون مع البرتغال الذي شرع في قصف مدينة الجزائر لكنه فشل في دخولها، ليعيد الإسبان الكرة سنة فيما بعد، وذلك في 11جويلية 1784بعدة قدرها 130سفينة و تحالف مع "فرسان مالطة" و " امارة نابولي" و بمباركة البابا، لكن حملتهم باءت بالفشل لتقرر اسبانيا التوقف عن انتهاج الأسلوب العسكري مع الجزائر و اللجوء الى الأسلوب الدبلوماسي، و رغم ذلك إلا أن العلاقات الجزائرية الإسبانية لم ترق الى درجة التفاهم رغم تحقيق السلم بينهما

و دفعت من خلاله إسبانيا للجزائر ما يقارب 4 ملايين دولار في فترة من سنة 1785-1790 تخللتها المعاهدة التي أبرمها الداي "محمد عثمان باشا" مع ملك إسبانيا "شارل الثالث" يوم 14 جوان 1786 و اهم ما جاء فيها ان

إسبانيا تصبح ملزمة بدفع 60ألف دولار كل سنة للجزائر، هذا عدا عن 30ألف دولار التي يجب دفعها لوزراء الداي و كبار رجال الدولة ،إذن فالعلاقات بين الجزائر و إسبانيا كانت سيئة منذ البداية.

ب- العلاقات الجزائرية البريطانية:

كانت العلاقات الجزائرية البريطانية وطيدة و أكد "دو غرامون" أن الإنجليز في بداية القرن 16 كانوا يتبادلون تجارة كبيرة مع الجزائر و كانت هذه التجارة متطورة حتى أن الدول الاوروبية الأخرى كانت عاجزة عن محاكاتها في هذا المجال، فكانت الجزائر تستورد من بريطانيا السلاح و المعدات العسكرية خاصة البحرية منها و ذلك مقابل الحبوب و الزيوت و الصوف.

ولكن هذا لم يمنع من وجود ذلك التنافس البحري بين الجزائر و بريطانيا، كما أنها شنت عدة حملات على الجزائر منها حملة 1669 على مدينة الجزائر و تخريب مدينة بجاية سنة 1671 هذا بالإضافة الى الاعتداءات المتكررة على السفن الجزائرية في البحر إلا أنه في 6أفريل 1682 عقدت معاهدة بين الداي "بابا حسن" و الملك "شارل الثاني" حيث تخلت بريطانيا عن 350 وحدة بحرية تجارية للجزائر .

و أهم حملة قامت بها بريطانيا على مدينة الجزائر تلك التي كانت يوم 27 أوت 1816 بقيادة اللورد "اكسموث" اين تحالف البريطانيون مع الهولنديين ضد الجزائر، انتهت هذه الحملة بعقد معاهدة مع الداي "عمر آغا" و أهم ما جاء فيها: تحريم استرقاق النصارى الأوروبيين تماما في المستقبل و معاملتهم كأسرى و ليس كعبيد.

ثم كانت الحملة البريطانية لسنة 1824، حيث قام الأسطول البريطاني بقصف مدينة الجزائر يوم 11 جويلية 1824 و حاولت بريطانيا فرض شروطها على الجزائر، إلا أن الداي "حسين" ألغاها من طرف واحد سنة 1825 و قام بطرد القنصل البريطاني من الجزائر.

ج- العلاقات الجزائرية الأمريكية:

امتازت العلاقات بين الجزائر و الولايات المتحدة بنوع من الفتور و كانت أمريكا تحاول ربط علاقتها مع الجزائر عن طريق وسطاء أوروبيين خاصة فرنسا و هولندا و بريطانيا، إلا أن محاولاتها باءت بالفشل فكان إعلان الحرب على أمريكا سنة 1785 إثر استلاء رياس البحر على سفينتين أمريكيتين و أسر الرعايا الذين كانوا على متنها.

و لكن مع ذلك استطاعت الولايات المتحدة الامريكية أن تبرم معاهدة سلام و صداقة مع الجزائر يوم 5 سبتمبر 1795 وقعها عن جانب الامريكي الرئيس "جورج واشنطن" و عن الجانب الجزائري الداي "حسين باشا" و تتكون المعاهدة من 22 بند أهم ما جاء فيها : حسن الجوار و حماية السفن الحربية و التجارية الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط و غرب المحيط الأطلسي و تبادل الاسرى بين البلدين.

إلا أن سرعان ما اندلعت حرب أخرى بين الجزائر و الولايات المتحدة سنة 1807، فتدهورت العلاقات بين البلدين من جديد، و بقيت هذه الوضعية على حالها حتى سنة 1815، وهو تاريخ إمضاء المعاهدة الجزائرية الأمريكية الثانية و التي كانت في صالح الولايات المتحدة.

د- العلاقات الجزائرية الفرنسية:

على عكس علاقات الجزائر مع مختلف الدول الأوروبية التي اتسمت بالتوتر كانت علاقة الجزائر بفرنسا في البداية ودية، لأن فرنسا كانت منذ البداية حريصة على كسب ود الجزائر، وذلك ابتداء من سنة 1534 حينما حل مبعوث "خير الدين بربروس" بفرنسا بدعوة من ملكها فرانسوا الأول و عقدت بينهما و مبعوث السلطان العثماني "سليمان القانوني" "المعاهدة الثلاثية" أو معاهدة ""شاتيلرو" نسبة للمدينة التي تم فيها اللقاء، و اصبح هذا الحلف رسميا بداية من 1536، و بالتوازي مع هذه العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر و فرنسا أخذت التجارة الفرنسية مع الجزائر طابعا قارا، إذ أنه بناء على معاهدة 1534 أنشأت فرنسا مركزا تجاريا في مدينة القالة لتصدير الحبوب خاصة القمح و صيد المرجان و ذلك بداية من سنة 1561 و كانت تعرف باسم شركة ""لانش"" و ذلك على عهد البيلرباي "حسن بن خير الدين باشا"، إلا أنه مع نهاية القرن 17 أخذت العلاقات الجزائرية الفرنسية تميل الى التوتر خاصة بعد الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر التي قادها الأميرال "دوكين"، وذلك بداية من 26 أوت 1682 على عهد الداي "بابا حسن"، ثم تلتها حملة "دوكين" الثانية في18 جوان من سنة 1683و خلالها قام سكان مدينة الجزائر بنهب مبنى القنصلية الفرنسية و أخذوا الأب "لوفاشي" الى الميناء و أجلسوه أمام المدفع و أطلقوا النار و كذلك فعلوا بـ20 فرنسيا آخر و أطلق الفرنسيون على هذا المدفع اسم "القنصلية" و ذلك على عهد الداي "حسين موزومورتو" و قد باءت هذه الحملة بالفشل مما حمل فرنسا على الصلح مع الجزائر و قد وافقت الجزائر على ذلك خاصة بعد تدخل السلطان العثماني "محمد الرابع"(1648-1687).

ومع نهاية أفريل 1684 أبرمت الجزائر معاهدة سلم مع فرنسا لمدة مائة عام و أهم ما جاء فيها : حرية التجارة و ضمان امن بواخر الطرفين و تبادل الأسرى.

و لكن هذه المعاهدة التى أبرمت لمائة عام لم تستمر طويلا ففي 26 جوان 1686 وصلت قوات الماريشال "ديستري" أمام مدينة الجزائر، إلا أن هذه الحملة بدورها باءت بالفشل ، و أرسلت الحكومة الفرنسية الى الجزائر تفاتحها في إجراء مفاوضات من أجل تحسين العلاقات و إعادتها الى سابق عهدها، و هكذا تم الإتفاق على تجديد العمل بالاتفاقية السابقة التي أدخلت عليها بعض التحويرات و ذلك في سبتمبر 1686.

و ما إن اندلعت الثورة الفرنسية في جويلية 1789 حتى تطورت العلاقات بين البلدين و اعترفت الجزائر بالجمهورية الفرنسية الجديدة، كما أقرضت الجزائر لحكومة الثورة مليون فرنك بدون فائدة سنة 1793على أن تستعمل فرنسا هذا المبلغ في شراء الحبوب من الجزائر.

وعلى عهد نابليون بونابرت كانت العلاقات بين البلدين حسنة في ظاهرها و لكنها في باطنها تنم عن رغبة فرنسا الملحة للاحتلال الجزائر ، فعلى عهد نابليون وضع القنصل الفرنسي العام "سانت أندري""Jean Bon Saint André" خطة الغزو الجزائر سنة 1802 ، كما قام نابليون بكتابة رسالة سرية يوم 18أفريل 1808 الى وزير حربيته "ديكريس" Decres يقول فيها (فكروا في إعداد غزوة للجزائر و ذلك على كل من المستوى البحري و البري)، ولهذا أرسل نابليون الرائد "فانسان ايف بوتان" رئيس فرقة الهندسة العسكرية الى الجزائر سريا و بتعليمات صارمة فحواها أن علية أن يسجل أدنى جزئية في حينها و أن يقدم تقريرا كتابيا عن ذلك.

اقام بوتان في الجزائر اكثر من شهر – من 24 ماي الى 17 جويلية– و وفر له القنصل العام "دوبوا تانفيل" كل التسهيلات و المساعدات. و لم يكتف عند العودة بالتقرير الكتابي، بل دعمه بالخرائط و أوصى بإلحاح الا تجابه العاصمة من البحر كالعادة بل من غربها و بالضبط من سيدي فرج و من هناك تقتحم القلاع.

2- مكانة الجزائر الدولية خلال العهد العثماني:

استطاع "خير الدين بربروس" تكوين دولة حديثة عاصمتها مدينة الجزائر،هذه الدولة كانت تتمتع بكل صلاحياتها كدولة مستقلة منها

- سك العملة باسمها و اتخاذ الأختام الخاصة بها و علم خاص بها ايضا.

- انفراد الحكومة الجزائرية بحق عقد المعاهدات والاتفاقات الدولية، وكانت الجزائر لها تقاليدها الدبلوماسية حسب القانون الدولي المعمول به آنذاك.

كما استطاعت دولة الجزائر بناء اسطول بحري مهاب. بحيث بلغ من القوة ان استطاع خلال القرن 18م احداث نظام للملاحة في البحر المتوسط يضمن امن الدولة الجزائرية و الدولة العثمانية، و كانت الجزائر تستخدم قوتها البحرية لغرضين:

1-هو حماية حدودها من العدوان الخارجي.

2- الدفاع عن الاسلام من الصليبية المتعصبة.

و أمام قوة الدولة الجزائرية كانت الدول الاوروبية تدفع مقابل السلم او مقابل الحماية او التبادل التجاري ضرائب باهضة للدولة الجزائرية، و قد بلغت قيمة ما كانت تدفعه الدول الاوروبية للجزائر كما يلي:

- مملكة صقلية تدفع مبلغ44 ألف بياستر سنويا منها 24 الف نقدا و الباقي في شكل بضائع، و نفس هذه القيمة كانت تدفعها البرتغال.

- إنجلترا تدفع 600 جنيه استرليني كلما جددت قنصلها، و نفس هذه القيمة كانت تدفعها هولندا.

- هانوفر و بريم الالمانيتان تدفعان مبالغ كبيرة كلما جددت قناصلها، و نفس الشيء بالنسبة لكل من اسبانيا و مملكة سردينيا.

– السويد و الدنمارك كانتا تدفعان ضريبة سنوية في شكل مواد حربية.

و هذا ما يعني ان الجزائر كانت دولة مستقلة و ذات سيادة رغم تبعيتها الاسمية للدولة العثمانية، و كانت دبلوماسيتها تقوم على مبدأين اساسيين هما :

– ان كل دولة تعتبر عدوة حتى توقع معاهدة صداقة او سلام مع الجزائر.

– ان كل معاهدة لا تعترف من بتفوق الجزائر البحري في البحر الابيض المتوسط لا يمكن قبولها من طرف الجزائر.

من خلال كل ما سبق نستنتج ان الجزائر خلال الفترة الحديثة استطاعت ان توجد لنفسها مكانة دولية مرموقة بين مختلف الدول خاصة الاوروبية منها، و حافظت على هذه المكانة ردحا من الزمن، و لكن ما ان دب الضعف فيها و فقدت قوتها البحرية خاصة بعد تحطم اسطولها في معركة نافارين في 10 اكتوبر 1827 حتى استغلت فرنسا الفرصة و شنت حملتها على الجزائر في جوان 1830.

المحاضرة السادسة

الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 و توقيع معاهدة الاستسلام

1-أسباب الحملة الفرنسية:

ا- **الأسباب الدينية** : ان الصراع الذي كان قائما بين الدول النصرانية و الدولة العثمانية قد انعكس على الجزائر، لأن قوة الاسطول الجزائري يعتبر في نظر الدول النصرانية امتدادا للأسطول العثماني الذي كان يسيطر لقرون على البحر الابيض المتوسط، و قد ورد في تقرير وزير الحربية الفرنسي "كليرمونت تونير" الذي رفعه الى مجلس الوزراء في 14 اكتوبر 1827 انها حرب صليبية هياتها العناية الالهية لينفذها الملك الفرنسي الذي اختاره الله ليثأر من اعداء الدين و الانسانية... المسلمين"، كما ذكر انه " ربما يكون من حظنا ان نمدنهم مع الوقت و ذلك بجعلهم مسيحيين".

كما ان بابا الفاتيكان قام بتقديم مساعدة للحملة الفرنسية على الجزائر تمثلت في تدعيم الجيش ب 200 فارس، في حين انا كاتب البابا الكاردينال "الباني" تحدث علنا عن تصور البابا "بي الثامن" بخصوص الاستيلاء على الايالة فقال ان "الاب الروحي للمؤمنين مسرور جدا من النتائج التي تحققت من خلال عملية الغزو، و التي ستكون لها فوائد كثيرة على الامم الكاثوليكية".

أما خليفته "غريغوار السادس عشر" قال "لقد تم بعث الكنيسة الافريقية في موطن سان اوغستين".

ب- الأسباب الاقتصادية:

لقد كان حرص فرنسا على احتلال الجزائر للسيطرة على كنز الايالة، و ذكر الصحفي "بيار بيان" في كتابه "سطو على مدينة الجزائر" ان قيمة الكنز الذي استحوذت عليه فرنسا بعد نجاحها في احتلال الجزائر هو 48 مليون فرنك من الذهب و الفضة، بيمنا بلغت القيمة النقدية 250 مليون فرنك، هذه السرقة المالية غير معترف بها رسميا ساهمت في تعويض تكاليف الغزو، كما استفاد منها الملك "لويس فيليب" خليفة "شارل العاشر" و كبار قادة الجيش ملاك البنوك و الصناعيين الذين بدورهم كانوا يبحثون على اسواق جديدة و مواد اولية ضرورية لهم.

كما ان فرنسا باحتلالها للجزائر أرادت التملص من الديون الخارجية التي تفاقمت ازمتها و التي تجاوزت 20 مليون فرنك.

ج- الأسباب السياسية:

أراد الملك الفرنسي "شارل العاشر" بعث الحكم الملكي المطلق من جديد، و لهذا وجد معارضة شديدة من الجمهوريين فاراد اسكات هذه المعارضة السياسية عن طريق احراز انتصارات عسكرية في الجزائر، كما أراد صرف أنظار الراي العام الداخلي الفرنسي إشغالهم بالحملة التي كانت أيضا فرصة لإبعاد الضباط المعارضين له بإشراكهم في الحملة و بالتالي التخلص منهم.

من جهة اخرى أرادت فرنسا تعويض مستعمراتها التي فقدتها في الهند أمريكا الشمالية إثر حربها مع بريطانيا سنوات 1756-1763.

د- الأسباب العسكرية:

أرادت فرنسا رد الاعتبار لجيشها الذي مني بهزائم متتالية بداية من القرن 19م، بداية من فشل الحملة الفرنسية على مصر1798-1801 الى "هزيمة نابليون بونابرت" في معركة "واترلو" في 18 جوان 1815 ضد التحالف الاوروبي.

هـ- ذريعة حادثة المروحة:

لقد جرت العادة أن تقوم قناصل الدول الاوروبية المعتمدين في الجزائر بزيارة تهنئة للداي بمناسبة عيد الفطر، و بما أنه كانت هناك حساسية بين القنصل الفرنسي و القنصل البريطاني، قرر الداي "حسين باشا" أن يستقبل القنصل البريطاني صبيحة العيد و القنصل الفرنسي عشية العيد و كان ذلك يوم 30 أفريل 1827 و بحضور جميع أعضاء الديوان، دار حديث بين "بيار دوفال" القنصل الفرنسي و "حسين باشا". فسأله هذا الاخير عن السبب في عدم رد الملك الفرنسي على رسائله التي طلب منه فيها تسديد الديون المتراكمة على فرنسا، فكان رد القنصل بأنه ليس من العادة أن يخاطب الملك من هو أدنى منه، و قد أفضى هذا الحوار الى المشاتمة بينهما، و يذكر "أحمد الجزائري" في رسالته الموسومة "كيف دخل الفرنسيون الجزائر" أن القنصل الفرنسي مد يده الى سيفه ليضرب الداي فهم الداي بقتله لولا أن نائبه توسط بينها و منعه من ذلك. و اكتفى بضربه بمروحته و طرده من المجلس.

القنصل الفرنسي لم يفوت هذه الفرصة و راسل حكومته يخبرها بما جرى بينه و بين الداي، فما كان من فرنسا بعد شهر نصف من الحادثة إلا أن أرسلت خمس سفن رست بميناء الجزائر بتاريخ 12 جوان 1827 تحت قيادة القبطان "كولي" و طلب من الداي أن يأتي شخصيا الى السفينة و يعتذر للقنصل "دوفال" لكن الداي رفض، و في 14 جوان تقدم "كولي" للداي برسالة الى الداي حسين تضمنت:

– أن يذهب الداي بنفسه الى مقر القنصلية الفرنسية و يقدم اعتذارا رسميا للقنصل.

– أن يرسل وفدا رسميا برئاسة وزير حربيته الى السفينة الملكية ليقدم الاعتذار.

– أن يرفرف العلم الفرنسي على كل حصون مدينة الجزائر و تطلق مئة طلقة مدفعية لتحيته. و حددت 24 ساعة لقبول هذه الشروط.

و كان طبيعيا أن يكون رد الداي بالرفض، لهذا قررت فرنسا قطع علاقاتها مع الجزائر و ضربت حصارا بحريا عليها دام ثلاثة سنوات و انتهى بالحملة الفرنسية سنة1830.

2- سير الحملة الفرنسية على الجزائر:

في أفريل 1830 تجمعت قوات الحملة في ميناء طولون و كانت تتكون من ثلاثة فرق عسكرية تتألف من 37.507 جندي و 4512 حصانا و 500 سفينة متنوعة الأحجام و المهام منها 103 قطعة حربية مقسمة الى ثلاثة أساطيل و كل فرقة يقودها جنرال و كلها تحت قيادة "لويس اوغست فكتور دو بورمون" ، و في 25 ماي 1830 انطلقت الحملة باتجاه الجزائر، و في 30 ماي اصبح الأسطول مرئيا من شواطئ الجزائر لكن سوء الاحوال الجوية جعل الاميرال "دوبيري" يأمر بالتراجع إلى مايوركة بقي بها الى غاية 10 جوان.

و ما أن حل 12 جوان 1830 حتى وصلت الحملة قبالة السواحل الجزائرية مرة ثانية، و ما بين 14-16 جوان 1830 تم إنزال القوات الفرنسية في سيدي فرج غرب العاصمة حيث الاستحكامات الدفاعية هناك ضعيفة.

كانت أول مواجهة عسكرية بين الجيش الجزائري و الفرنسي هي معركة اسطاوالي في 19 جوان 1830، كان تعداد الجيش الجزائري 6000 مقاتل هذا بالإضافة الى المساعدات التي تلقاها الداي من باي قسنطينة "أحمد باي" الذي ذكر في مذكراته أنه كان في مدينة الجزائر لأداء الدنوش للباشا و معه حوالي 400 فارس، كما كان حاضرا باي التيطري "مصطفى بومزراق" الذي كان معه 1000 فارس في حين ان باي بايلك الغرب ناب عنه نائبه. و كان على راس هذه القوات صهر الداي "ابراهيم اغا" الذي قال عنه حمدان بن عثمان خوجة في مذكراته انه لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام، و لم يكن يعرف الشيء الكثير من التكتيك العسكري، و في موضع اخر وصفه بأنه "رجل لا منطق له و لا كفاءة".

انتهت معركة اسطاوالي بهزيمة الجيش الجزائري و فرار "ابراهيم اغا" تاركا خلفه الجيش بدون قائد. حينها تقدم الجيش الفرنسي و استولى على الخط الدفاعي الاول "برج مولاي حسن"، و نتيجة لذلك جمع الداي "حسين باشا" امناء البلاد و وجهائها و رجال القضاء و شرح لهم الحالة الخطيرة التي آلت اليها مدينة الجزائر، ثم طلب منهم ان يبدوا نصائحهم من اجل ايجاد وسيلة مفيدة لمعالجة الضرر، و اقترح الداي "حسين" على الحضور أمرين اما مواصلة القتال او تسليم المدينة بعد ابرام معاهدة مع الفرنسيين، و بعد عدة مشاورات و أأخذ و رد اتفق الجميع على تسليم المدينة، في يوم 04 جويلية أرسل الداي كاتبه مرفوقا بالقنصل البريطاني كرسول صلح و "أحمد بوضربة" و "الحاج حسن" كمترجمين لانهما يحسنان اللغة الفرنسية للتفاوض مع القائد العام للحملة. و في اليوم الموالي وقع الداي "حسين" على معاهدة الاستسلام مع الكونت "دوبرمون"، و جاءت في خمسة بنود أهم ما جاء فيها تسليم قلاع و حصون المدين للفرنسيين،

و تعهد القائد الفرنسي بترك الاموال الخاصة بالداي مع ترك له الحرية المطلقة في الرحيل مع أسرته. كما يتمتع جنود الانكشارية بنفس الحقوق و الحماية الممنوحة للداي "حسين"، و في البند الاخير تعهدت فرنسا بحماية أملاك الأهالي و معتقداتهم و تقاليدهم.

و في 10 جويلية غادر الداي "حسين" في إحدى السفن الفرنسية الى نابولي حسب رغبته و منها توجه الى ليفورن ثم فرنسا ليستقر في النهاية في مصر حيث توفي سنة 1838. اما الجنود الانكشاريين فقد غادروا الجزائر الى الاناضول يوم 11 جويلية ، و بهذا أسدل الستار على مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر الحديث لتبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة الاستعمار الفرنسي للجزائر الذي رافقنه عدة مقاومات شعبية استمرت حتى مطلع القرن 20م.

المحاضرة الثامنة

مقاومة الأمير عبد القادر و دولته الحديثة 1832-1847.

بعد سقوط مدينة الجزائر وجهت فرنسا انظارها صوب اهم المدن الساحلية، و جعلت من وهران وجهتها التالية فاحتلتها سنة 1831 ثم احتلت البليدة سنة 1832 و بجاية و مستغانم سنة 1833 و قسنطينة سنة 1837 و غيرهم...فما كان من الشعب الجزائري الا مقاومة المحتل و رد هجماته، و من ابرز المقاومات الشعبية التي عرفتها الجزائر مقاومة "الأمير عبد القادر بن محي الدين" .

1- التعريف بالأمير عبد القادر(1807- 1883)

ذكر صديق "الامير عبد القادر" و مدون سيرته "شارل هنري تشرشل" في كتابه "حياة الامير عبد القادر"، انه ولد في ماي 1807 في قرية القيطنة- تابعة لدائرة بوحنيفية ولاية معسكر حاليا- و هو الابن الرابع لمحي الدين بن مصطفى بن المختار، و الامير "هبد القادر" عالم و فقيه و فيلسوف حفظ القران الكريم و هو ابن اثنا عشر عاما، تلقى مبادئ العلوم الاسلامية على يد والده و كان فارسا يجيد استعمال السلاح منذ صغره، و في نوفمبر1825 ذهب "محي الدين" مع ابنه "عبد القادر" الى الحج، و عادا الى الجزائر اوائل سنة 1828، و في سنة شارك "الامير عبد القادر" في عدة معارك الى جانب والده، الا انه و لكبر سنه و عدم قدرته على قيادة المقاومة فاقترح ابته بديلا عنه، فتمت مبايعته تحت شجرة الدردار في سهل غريس بمعسكر يوم 24 نوفمبر 1832 و لقب ب "ناصر الدين".

2- اسباب مقاومة الامير عبد القادر

نظرا لأهمية موقع وهران الاستراتيجي فقد قرر "دوبرمون" احتلال المدينة في اقرب فرصة ممكنة. و لهذا ارسل ابنه "اميدي" الى وهران على راس سفينتين حربيتين

فوصل الى المرسى الكبير في 13 اوت 1830، و فورا ربط هذا القائد اتصالاته مع باي بايلك الغرب "حسن باي" الذي لم يبد اي مقاومة بل اقترح على القائد الفرنسي ان يترك في منصبه مقابل دفع نفس الرائب التي كان يدفعها للداي سابقا، الا ان عزل "دوبرمون" من القيادة في الجزائر اواخر اوت 1830 من قبل الحكومة الفرنسية، جعل تلك المفاوضات تتوقف و تم سحب القوات التي بعثت الى المرسى الكبير، و بعد تولي الحنرال "كلوزيل" مسؤولية قيادة القوات الفرنسية بالجزائر في 03 سبتمبر 1830، قام بدوره ببعث قوات جديدة الى وهران تحت قيادة الجنرال "دامريمون" الذي تمكن من احتلال المدينة يوم 11 جانفي 1831، و تم نقل "حسن باي" الى مدينة الجزائر و منها رحل الى الإسكندرية، و بالتالي فان عجز بقايا النظام العثماني في صد العدوان الفرنسي كان من الاسباب التي جعلت الزعامات المحلية على حمل لواء المقاومة خاصة بعد انتشار الفوضى في الاقليم الوهراني و تشتت القبائل و تناحرها.

3- مراحل مقاومة الامير عبد القادر

ا- مرحلة الانطلاق و القوة(1832- 1837)

كانت اولى المعارك التي خاضها "الامير عبد القادر" و لكن تحت راية والده "محي الدين" هي معركة خنق النطاح الاولى في ماي 1832 ثم معركة خرق النطاح الثانية في جوان 1832، و بعد مبايعة الامير كقائد للمقاومة بدا في تنظيم صفوفه و اتخذ من معسكر عاصمة له، و شرع في تشكيل حكومته سنة 1833، و قام بتنصيب الولاة في مختلف الانحاء التي كانت تابعة له، و شكل مجلسا للشورى يتكون من 11 عضوا.

في البداية بدا الامير في محاصرة مراكز المحتل الفرنسي في كل من وهران و مستغانم. وهذا ما ادى الى الحصار الاقتصادي على الفرنسيين مما اضطرهم الى مهادنة "الامير عبد القادر" فابرم قائد قوات الاحتلال بوهران الجنرال "دي ميشال" مع "الامير عبد القادر" معاهدة "دي ميشيل" يوم 26 فيفري 1834 و اهم ما جاء في بنودها

- وقف اطلاق النار.

- اعتراف الأمير بالسيادة الفرنسية مقابل الاعتراف بسيادته على المناطق غير المحتلة.

- تبادل التمثيل القنصلي بين الطرفين.

- حرية التجارة و انتهاج مبدا التعامل بالمثل و المساواة.

و بعد توقيع هذه المعاهدة بدا الامير في استغلال الوقت لبلورة خططه و تنمية موارده و التحضير لمعاركه مستقبلا، و خلال هذه الفترة استطاع الامير مد نفوذه في كل من ملیانة المدية بسكرة، كما اسس جيش نظامي من المشاة و الفرسان و المدفعية.

و مع تزايد نفوذ "الأمير عبد القادر" قامت السلطات الفرنسية بعزل الجنرال "دي ميشيل" و عينت مكانه الجنرال "تريزل" الذي نقض معاهدة "دي ميشيل" بحجة ان الامير تصدى "لموسى الحسين" الذي هاجم المدية و استولى عليها مدعيا انه المهدي المنتظر، لهذا اعتبر "تريزل" عمل الامير هذا خرقا للمعاهدة و هاجم الامير في منطقة "سيق"، و دارت بين الطرفين معركة في المقطع- جنوب ارزيو" يوم 28 جوان 1835،و كان النصر فيها من حليف "الأمير عبد القادر".

و بعد هزيمة فرنسا في هذه في هذه المعركة لجات الى عزل "تريزل" و عينت مكانه "دارلانج" لكن مدة حكمه لم تطل، فعينت مكانه الماريشال "كلوزيل" الذي هاجم معسكر يوم 6 ديسمبر1835 الا انه وجدها خالية فقام بتخريبها، ثم قام بغزو تلمسان في 13 جانفي1836 فحاصرها الجزائريون و الحقوا هزيمة بالفرنسيين عند مصب نهر التافنة في 25 افريل1836. و حتى تدعم فرنسا جبهتها في تلمسان و تفك الحصار عنها ارسلت قوات دعم الى هناك بقيادة "بيجو" في ماي 1836 فدخل في اشتباك مع قوات الامير تمكن من الانتصار عليها في واد زقاق– واد سكاك– في جويلية 1836، و استمر الصراع حول المنطقة مدة عام ونصف انتهى بتوقيع معاهدة التافنة في يوم 30 ماي 1837، و قد جاءت في خمسة عشر يندا لا تختلف كثيرا عن بنود "دي ميشيل" من حيث اعتراف كلا الطرفين بسلطة الأخر، و حرية التجارة و تبادل المجرمين و قطاع الطرق.

3– مرحلة تنظيم الدولة: (1837– 1839)

تمكن "الامير عبد القادر" خلال هذه الفترة من تنظيم هياكل دولته وأهم ما قام به

– تقسيم الجزائر إلى ثمانية مقاطعات و على راس كل مقاطعة وضع خليفة وهم

1– تلمسان وضع عليها "محمد البوحميدي الولهاصي".

2– معسكر اسندها الى "محمد بن فريحة" ثم "مصطفى بن التهامي"

3– مليانة جعلها تحت إمرة "محي الدين بن علال" ثم "محمد ين علال".

4– التيطري كانت من نصيب "مصطفى بن محي الدين" ثم "محمد البركاني".

5– مجانة وضع عليها "محمد بن عبد السلام المقراني" ثم "محمد الخروبي".

6– بسكرة أسندها إلى "فرحات بن سعيد" ثم "الحسين بن عزوز".

7- برج حمزة ولي عليها "أحمد بن سالم".

8- المنطقة الغربية من الصحراء اسندت الى "قدور بن عبد الباقي".

- قام "الأمير عبد القادر" بصك عملة جزائرية سميت "المحمدية"، كما كانت للأمير راية خاصة من القماش الحريري مطرزة بالذهب اعلاها و اسفلها خطان خضراوان و وسطهما أبيض رسمت فيها يد مبسوطة كتب حولها بشكل دائري "نصر من الله و فتح قريب ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين".

- انشأ حكومة تضم عدة وزارات او نظارات هي:

نظارة الداخلية- نظارة الخارجية- نظارة الحبية- نظارة الاوقاف و نظارة الخزينة الخاصة- و نظارة العشور و الزكاة و هي التي تشرف على جباية الضرائب.

- عمل الأمير على تشجيع التعليم و جعله مجاني للذكور و الاناث مع جمع الكتب و المخطوطات و ارسال بعثات طلابية الى الخارج.

- اقام الأمير جهاز قضائي استمد احكامه من الشريعة الإسلامية، و تولى رئاسته مجلس شورى يضم قضاة محليين مدنيين و عسكريين.

3- مرحلة الحرب و الاستسلام: (1839-1847)

امام هذه التطورات و التوسعات التي عرفتها دولة "الامير عبد القادر"، زاد تخوف السلطات الفرنسية من زيادة نفوذ الأمير، فراحت تدبر حجة من أجل إعلان الحرب من جديد و كانت حجتها ان الأمير يتوسع نحو الشرق، و هذا يعتبر خرقا للمعاهدة و لكن الامير بما انه لم يكن مستعدا للحرب راح يفاوض الملك الفرنسي "لويس فيليب" و حكومته سنة 1838. فعرضت عليه هذه الأخيرة مشروع معاهدة جديدة

لكن مقابل شرط قاسية منها مراقبة واردات الامير من الأسلحة، فكان من الطبيعي ان يرفضها الأمير.

و في سنة 1839 شن الفرنسيون حملة من قسنطينة الى الجزائر قاموا خلالها باختراق مناطق تابعة للأمير، فلم يتحمل ذلك و أعلن الجهاد و قام بمهاجمة الفرنسيين في متيجة في نوفمبر 1839، و بما ان النصر في البداية كان حليف الامير قامت الحكومة الفرنسية بتعيين الجنرال "بيجو" مكان الحاكم العام "فالي". فقام "بيجو" بوضع خطة محكمة من أجل التغلب على الأمير، و تتمثل في شن هجمات على القبائل التابعة للأمير و غلق الحدود لمنعها من التوجه للمغرب مع تطبيق سياسة الارض المحروقة و احتلال عدة مدن كالمدية ستة1840 و تلمسان 1842، و هذا ما جعل الامير يلجأ الى اعتماد عاصمة متنقلة عرفت بالزمالة.

و أمام كل هذه العواقب فقد الأمير أهم مراكزه الادارية و الاقتصادية، و بداية من سنة 1844 لجأ الى المغرب من أجل استرجاع قواه، و لكن فرنسا مارست الضغط على السلطان المغربي "عبد الرحمن" و طلبت منه القاء القبض عليه، هنا وجد الامير نفسه محصورا بين قوات المغربية و السلطات الفرنسية، و في 23ديسمبر قرر الأمير الاستسلام مقابل أن يسمح له و لمن أراد من رفاقه الهجرة الى الاسكندرية و اعطاء الامان لكل موظفيه و جنوده، لكن فرنسا قامت بأسره فنقل في موكب حربي الى طولون يوم 2جانفي1848 فوضع في سجن "لامالغ" Lamalgue الحربي ثم قلعة بلوا Blois فقصر الامبواز الذي مكث فيه أربع سنوات و نصف تحت الاقامة الجبرية، الى أن اطلق سراحه "نابليون الثالث" يوم 26 اكتوبر 1852، فانتقل الى باريس و حضر تتويج نابليون امبراطورا على فرنسا يوم 2 ديسمر 1852، و في يوم 3جانفي 1853 اتجه الى اسطنبول حيث استقبله السلطان "عبد المجيد الاول" (1823- 1861)، و مكث في بروسة التي غادرها متجها الى

بيروت عام 1856 و منها الى دمشق التي استقر الى ان توفي يوم26 ماي1883 و دفن بها، و في جويلية 1966 نقلت رفاته إلى مقبرة العالية بالجزائر.

قائمة المراجع:

- خير الدين، مذكرات خير الدين، ترجمة محمد دراج ،شركة الاصالة للنشر والتوزيع، الجزائر ،2010 .
- فراي ديغو هايدو، تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة أبو لؤي عبد العزيز الأعلى ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر 2013.
- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقيدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، بيت الحكمة، الجزائر ،2008 .
- أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر، دار الكتاب الجديد، مصر 1962
- الأمير محمد تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، الجزء الأول، المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903.
- شارل هندي تشرشل، حياة الأمير عبد القادر الترجمة ،أبو الحاسم سعد الله ،الدار التونسية للنشر، تونس ،1971.